**سُوف عبيد** شاعر [تونسي](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AA%D9%88%D9%86%D8%B3) من مواليد يوم [7 آب](https://ar.wikipedia.org/wiki/7_%D8%A2%D8%A8)/أوت [1952](https://ar.wikipedia.org/wiki/1952) [ببئر الكرمة](https://ar.wikipedia.org/w/index.php?title=%D8%A8%D8%A6%D8%B1_%D8%A7%D9%84%D9%83%D8%B1%D9%85%D8%A9&action=edit&redlink=1) في منطقة [غمراسن](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%BA%D9%85%D8%B1%D8%A7%D8%B3%D9%86) بالجنوب الشّرقي التونسي.درس الاِبتدائي بغُمْراسِن وبالعاصمة تونس.تخرّج من كلية الآداب بأستاذية العربية سنة [1976](https://ar.wikipedia.org/wiki/1976) ثمّ بشهادة الكفاءة في البحث حول تفسير الإمام اِبن عرفة سنة [1979](https://ar.wikipedia.org/wiki/1979).اِشتغل سُوف عبيد بتدريس اللغة والآداب العربية والترجمة في المعاهد الثانوية بعد أداء واجب الخدمة العسكرية ضابطا بجيش الطيران . بدأ النشر منذ 1970 وشارك في النوادي والندوات الأدبية والثقافية في تونس وخارجها واِنضمّ إلى [اِتحاد الكتاب التونسيين](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D8%AA%D8%AD%D8%A7%D8%AF_%D8%A7%D9%84%D9%83%D8%AA%D8%A7%D8%A8_%D8%A7%D9%84%D8%AA%D9%88%D9%86%D8%B3%D9%8A%D9%8A%D9%86) سنة [1980](https://ar.wikipedia.org/wiki/1980) واُنتُخب ثلاث مرات في لجنته الإدارية.وهو من مؤسّسي نادي الشّعر بتونس سنة 1974. وكان عضوا في الهيئة الاِستشارية لمجلّة ـ الحياة الثقافية ـ بتونس ونظّم الملتقى الأول والثاني لأدباء الأنترنت بتونس سنتي 2008 و2009 وترأس جمعية ابن عرفة الثقافية سنتي 2013و2014 وقد تُرجمت بعضُ قصائده إلى اللّغة الفرنسية

صدر له:

* الأرض عطشى 1980
* نوّارة الملح 1984
* اِمرأة الفسيفساء 1985
* صديد الروح 1989
* جناح خارج السّرب 1991
* نَبعٌ واحدٌ لضفاف شتى 1999
* عُمر واحدٌ لا يكفي 2004
* حارق البحر 2008
* الجازية 2008
* ألوانٌ على كلمات 2008
* عاليًا...بعيدًا 2014
* واحدان 2016
* حركاتُ الشّعر الجديد بتونس 2008
* صفحاتٌ من كتاب الوجود ـ القصائد النثرية لأبي القاسم الشابي 2009
* ديوان سُوف عبيد 2017
* ما تركه المسافر ـ مخطوط القصائد الأخيرة

**المجموعة الشعرية :الأرض عطشىى للشاعر سوف عبيد**

**جمالية الالتقاط وشعرية الانتماء**

**بقلم : منير الوسلاتي**

تقديم : من اي الابواب ندخل عالم سوف عبيد الشعري؟ وهو الذي وهب ردحا طويلا من عمره يتلمس ذاته وحياته في أفق القصيدة،إذ قضى سوف عبيد ما يناهز خمسين عاما في الكتابة إذا احتسبنا بداية ظهور كتاباته على اعمدة الصحف منذ سنة 1970، ثم ظهور اول اصدار منشور له سنة 1980.وان كنت أحبذ استنطاق النصّ وتأمّل بنيته اللغوية وأشكاله الفنية للوصول الى فهم المضامين، إلا انّ العمل الذي نحن بصدده والمتعلق بمجموعة الشاعر الأولى "**الأرض عطشى**" الصادرة سنة 1980 تقتضي مقاربة السيرة الحياتية للشاعر بالتجربة الشعرية والمضامين المطروحة في مجموعته،إذ لا يمكن الفصل في تأويل النصوص الشعرية ومسارات التجربة الحياتية للشاعر، وان كان يتعذر على الباحث الالمام بحقائق هذه الحياة فإن الخطوط العريضة والعامة لهذه الحياة وما عُرف عن الشَّاعر في حراكه الثقافي والاجتماعي وأثره الإنساني يمكن أن يدلّنا على أصباغ هذا الافق الجمالي في قصيدته.كما أن مجموعة الارض العطشى تقتضي بالقوة وبالفعل فهم هذه العلاقة "الكيانيّة" الوجودية بين الشاعر والأرض من حيث الانصهار الوجودي الرمزي بينهما من جهة او من حيث تشكّل فكرة الانتماء،انتماء الشاعر للأرض من خلال الفعل الشّعري واختياراته الفنيّة ...وعلى ذلك سنحاول قراءة الافق الجمالي لمجموعة الارض العطشى في سياق أفقها الأدبي اللغوي ولكن بعلاقة مع الأفق الفكري والتجربة الحياتية للمؤلف على اعتبار ان نصوص الارض العطشى يبرز قيمة الذاكرة، ذاكرة الامكنة وجمالية التقاط الصور النادرة وغير المعهودة احيانا التي يوظفها الشاعر من قصيدة الى اخرى، ومن ثمة هذه الاختيارات المشهدية من ذاكرة الحنين هي التي تشكل شعرية الانتماء للمكان (للفضاء).وتلك مهارة ميزت سوف عبيد فنيا في احتفاء نصوصه بالتفاصيل وامساك عدسته الفريدة باللحظات الهاربة يطبعُها بطابعه الذاتي المختلف والمغموس في الدهشة،ولعمري تلك ميزة جامعةٌ بين أهل الفنّ وهي المقدرةُ على التقاط الجميل العميق في شقاق الأحداث السطحية العابرة وفلول ايقاعات الزمن العفوي الرتيب...

1/ الألوان والاضواء في أرض سوف عبيد:

بنظرة بسيطة سريعة أولى في مساره الحياتي ترى أن سوف عبيد الذي ولد في منطقة بئر الكرمة بمنطقة غمراسن بالجنوب الشرقي التونسي وعاش بها جزءا من طفولته من ناحية ثم انتقاله للسكن بالعاصمة بمنطقة مقرين (الضاحية الجنوبية بالعاصمة) ثم عمله بمناطق الشمال (بوسالم -جندوبة / ماطر- بنزرت/ رادس بن عروس...الخ) تلك التنقلات داخل وطنه تونس جعلت ذاكرته الضوئية واللونية متنوعة وثرية فقد ترسبت في ذاكرته اللونية صفرة رمل الصحاري وحرارة طقس الجنوب ونسائم لياليه الباردة من ناحية وزرقة شطآن رادس وبنزرت وكل مناطق السواحل التي زارها ونشط بها من ناحية اخرى ثم خضرة سهول بوسالم وباجة ومنوبة (الاماكن التي عمل بها)، كما نضيف لهذا التنوع البصري في ذاكرته اسفاره خارج البلاد ضمن انشطته الادبية والثقافية وتميّز حياة الشاعر بالتنوع والثراء الذي ينتج عن التنقلات والاسفار داخل الوطن وخارجه ...ان هذا الخزان البصري الذي تحتفظ به ذاكرة انتقائية حية تسكب الوانها في مضامين القصائد وفي المشاهد المختلفة التي يصوغها الشاعر.وهو ما يفسر تكرار اللون الاخضر مثلا في قصائد الأرض العطشى في قصيدة البدء قوله:  
أنتِ  
أيّتُها الشّمسُ الغائبةُ خضراءُ  
هذا جبيني مَسارٌ لكِ

\*\*\* او قوله من نفس القصيدة

صُبّي الضّوءَ في مَسامّ جلدي حتى الذّروة  
فالأرضُ عَطشى… الأرضُ عطشى  
أَحـبّـيني يا خُضرةَ عُشب المقابر  
أحـبّـيني خضراءَ

اوقوله في نفس القصيدة

أنتِ أنا أيا أرضُ  
خُضرةُ قمر الليل في النّهر

\*\*\* او قوله  
لحمي  
دمي  
عروقي  
تُربةُ  
جذورُ  
خضرةُ الشجر  
تُـناسلُ عَفَن الأرض

\*  
أنتِ الخُضرة  
أنت الخضرة  
أنت الخضرة  
أيا أرضُ

لا تسألي عن الخبر  
فالسّمعُ  
والبصرُ  
خُضرة !

وقوله من قصيدة العصافير والماء:

تَوزّعتْ فُسيفُساء المَسبح  
وَسَط الماءِ  
صارتْ سهلا  
صارت بِساطا  
أخضرَ

\*\*\*وقوله في قصيدته الحصان الابيض

في المَدى  
تحتَ الشّمس  
رُوَيدا رويدًا  
تلاشتْ عِمامتُه الخضراء ؟

\*\*\*وقوله في قصيدته النيل:

بحرُ النّيل أخضرُ  
فيه الصّيادونَ  
فيه الأفلاكُ  
فيه الأسماكُ في الشّباكِ

ويستمر محفل الخضرة والنضارة في استعماله لألفاظ (اعشوشب) و(العشب) (السهل) (الماء) ..الخ وهو طقس شمالي بامتياز لعلّه على الارجح كتب بين احضان مدينة بوسالم وسهول جندوبة حيث اشتغل الشاعر أو بمنطقة منوبة أواخر السبعينات أين درس الشاعر بالنظر الى سيرته الحياتية. كما ان اللون الاخضر الطاغي في قصائد من المجموعة لا يحرم ألوان اخرى من الظهور الفني في النصوص كقوله

يكونُ اليومُ أحمرَ  
في شيءٍ من البَرد  
يكون اليومُ أخضرَ  
في شيءٍ من النّار  
أبيضَ بياضًا  
كأنّهُ منكِ و منّي

كأنك إزاء رسام تشكيلي انطباعي تارة يرسم بأسلوب اللطخة اللونية يضعها في المشهد ويستمر يضيف الالوان يستدرج بعضها من بعض ويشتغل عليها بانفعالات احساسه العميق دون ان يعرف الى اين تؤدي حركته اللونية في المشهد، أو انّك ازاء تشكيلي وحُوشي بتعسّف على الالوان فيجعل القمر أخضر والظل احمر والشجر أزرق وشارع البيت خيطا اسود ...الخ،فرشاة من الكلمات تعبث بالالوان وتحول الاشياء بعد نقعها في خامات احساس الفنان...تزدحم في اللحظة التصويرية للشاعر أضواء الافق تنعكس على أرض الشاعر وسمائه فتتنوع المشاعر بكمية الضوء المودع في المشهد متماهية مع جوهر الحالة العاطفية ومصطبغة بها...أليس جوهر الكتابة الابداعية كما تقول الباحثة روز ماري لاقرافRose M.Lagrave هي كسر للعالم وإعادة بنائه (l'écriture est une façon de fracturer le monde et de le reconstruire) ... ان الفسيفساء الضوئية التي يلقيها الشاعر في مفاصل قصائده تتنوع ضوئيا عابرة لكل فترات النهار والليل فنجد الليل بكل توابعه الرمزيه في بعض قصائده والليل افق الرومانسيين بامتياز يستثار فيه الحلم والأمنيات وتتجلى فيه الرغائب الدفينة المعلن منها والمخفي والآمال المتربصة والاشواق المتلهفة (مثال ذلك قوله من قصيدة:صبية)

ليلةَ أجَرنا الشُّهُبَ  
تَعَشّيْنَا سَواءَ  
كلّمَا نَقَصَ الثّريدُ في الجَفْنةِ  
زادَ الثّريدُ

او (قوله من قصيدة الراية)

تَعالِي الليلةَ  
إلى خيمتِي  
نتقاسمُ حفنةَ تَمر  
نجلسُ على الرَمل  
فأنا وأنتِ  
في سُبحة الشّيخ  
في ضياءِ النّجم  
في حِداء الّنياقِ

\*أوحِي إليَّ الليلةَ مِنْ لَدُنْكِ  
فأنا الليلةَ  
قد فَقَدتُ ذاكرتي

او (قوله من قصيدة المجيء في الليل)  
الليلةَ  
الأماسي يَــبْــيَضّ فيها خيطُ شارعِنا الأسودِ  
تَغْرَق طفُولتُنا  
في قاع مَنامتِها السّابعةِ

....

الليلةَ  
أمْسَيْتِ أرضِي  
حَرثي …غَيثي  
و وِديانَ سَيلى  
منَ العشقِ أزرعُ البراريَ مَشاتلَ فُــلّ

.... الى ان يقول:

الليلةَ  
ساعةُ الحائط تدُقُّ طبولَ الغزوِ في عِرقي  
ذكرْتُ البارحةَ قميصًا أبيضَ  
غَسَلتُه أمّي  
نَشرتُ كتاباتي  
نثرتُها في الرّيح  
وجِئتُكِ الليلةَ  
مَع اللّيل !

هذا التكرار لليل والذي يشي بدلالات مختلفة تصور اللحظة الضوئية في المشهد ولكن تصور اللحظة النفسية وقوادح الصور المرافقة فتبرق في الذاكرة المسيجة بالانتظار والأشواق المتمثلة في مشهد الساعة الحائطية التي تدق طبول الغزو في عرق الشاعر تمرّ في لقطة سريعة مخاتلة صورة الأمّ تغسلُ قميصا (ابيض) ثم يعود فجائيا الى نشرت كتاباتي ونثرتها في الريح/ وجِئتُكِ الليلةَ  
مَع اللّيل! انه تركيب بصري سينمائي للمقطع إذ تتحول لحظة الاحساس بالليل الى ثنائية شوق وانتظار لحدث ما منتظر وهو (المجيء ليلا) مع لقطة عابرة في المخيلة وهي أمّ تغسل قميصا ابيض...ان هذه الصيغة التصويرية تحيلنا الى وعي بصري حداثي لدى الشاعر سوف عبيد في توظيف الألوان والأضواء والمواقيت من ناحية والاستفادة من تقنية التركيب السينمائي كأنّما شاعرنا يبرز نفسا حَدَاثيا جديدا في تفتّح فنّ الشّعر على الفنون المجاورة حيث تستحيل الكلمات التقاطا فوتوغرافيا لمَّاحا يبرع في تركيبه بصريا كما ان النّزعة الفلسفية في معنى المجيء ليلا ومع اللّيل والغارق في ايحاء صوفي وجودي يفتح امام المتأمل أبواب التأويل والدهشة وعلى قدر انّ الجُمل لامحة البرق ومكثفة ومختزلة ضمن ايقاع نفسيّ يصل داخل الشاعر بظاهر الاشياء فهي بؤرة معنوية بعيدة الدلالة والعمق الفني تستنفذ معها رصيدا من الاطّلاع على مدارس الكتابة الابداعية ومختلف المناهل الجمالية التي صبغت تاريخ الادب العربي والعالمي.

2/ شعريّة الانتماء في قصائد الأرض عطشى

ان مفهوم الانتماء، انتماء الذَّات الكاتبة في حالتها الشعريّة لموضوعها تتشكّل كما لدى شعراء كثر ٍ في تاريخ الشعر العربي يتمثل في فكرة الحلول والتحلّل في الطبيعة وفي الأشياء ، الانصهار في الشكل واللون ومغادرة الممكن البشري المعقول الى التماهي مع حركة الضوء والظلال والغيم ودوران الاجرام والكواكب والانسياب مع الماء والهطول في المطر والدمدمة مع الرعد والذوبان في عزف الرياح والانسياب مع الشعاع وهبيب النسيم وهفيف الغصون وحفيف الشجر ورقرقة الجداول وسلسلة الانهار...الخ من انماط تَشكُّلِ الذّات المحدودة منطقا وعقلا المارقة عن المقدور الخارقة للمعقول عبر أدوات المخيلة الخلاقة الكاسرة للزمن والمسافة والأحجام، ولعل سوف عبيد كما الذين سبقوه من الشعراء الرومنطقيين وكذلك بعلاقة ارتدادية للنزعة الصوفيّة فينزع من حين لآخر لهذا الحلول الجمالي في الطبيعة والتحلّل المبهر المذهل في عناصر الأرض فيتذاوتُ معها وينصهرُ فيها ضمن مشاعر عاطفة قويّة الدّفق والتجلّي،ولعلّ هذا النمط من الكتابة يشي بثراء اطلاع سوف عبيد الأدبي وصدوره عن جماليات شعرية جامعت بين ينابيع التراث الشعري العربي وتجارب الشعر الحديث وتنوع مصادره الاستيتيقية فيما يتعلق بفنّ القول والفنون المجاورة...

لنتفق اولا ان هذه الأرض التي يتناولها سوف عبيد هي إمّا كلّ الأرض ببَرّها وبُحورها بِسمائها وأجوائها، بليلها ونهارها،وأنّ الحلول فيها امّا حُلولٌ "انتثاري" للذات الشاعرة كليًّا أو جُزئيا أو هو حالة حوارية تناغميّة مع عناصرها وتنقسم الى حالتان امّا حالة التضاؤل والانفعال أمامها والتواطؤ مع حركتها او حالة التكابر الرمزي للذات -على معنى العظمة والضخامة والشساعة والرحابة - مع جزيئاتها وأشيائها كما سنبينه في الامثلة الموالية نورد بعض معاني العظمة عبر حلوله الكوني البديع التي يبرزها الشاعر في (قوله: من قصيدة البدء) :

سَريري رَحبٌ اللّيلةَ  
يا أفلاكُ اِستريحي بقُربي  
دُوري في كفّي كالخُذروفِ  
يا سماءُ تَمدّدي على بدنِي  
أفصّلُ لك من جِلدي خريطةَ الكونِ  
أنتِ  
أيّتُها الشّمسُ الغائبةُ خضراءُ  
هذا جبيني مَسارٌ لكِ

انه اتساع خارق مذهل لأشياء الشاعر ، سريره رحبٌ شاسعٌ الى درجة انه يستوعب كل الأفلاك (والفلك هو مدار الاجرام والكواكب) يدعوها للاستراحة فيضيف الى الرحابة والاتساع المبهر معنى السَّخاء والكرم المبهر بدعوة السماء المتعبة للتمدد على بدنه وبدعوة الشمس الغائبة ان تسير خضراء في ثنايا جبينه، ولعلّ الصوّرة تتناسل منها معالم العظمة بشكل متواتر ومكثّف على نحو يستحيل الشاعر فيه كونا متحركا يتفاعل مع العناصر عطاءً وسخاء لا ينتهي بكل ما اوتي من شساعة التشكيل والرؤيا

\*\*\*البحرُ يَدخُل الأرضَ من بوّاباتِ السّواحل  
أكونُ ساعةَ الوُلوج  
القمرُ يحرُثُ صمتَ المقابر  
أكونُ زرعَ الضّوء  
الليلُ يرُشّ شجرَ الشّوارع  
أكون بدءَ الحُلم  
أوّلَ الصّحْو في السّاحة

في هدا المقطع تبرز جمالية التحوّل في الكينونة والانتثار الرمزي للذات الشاعرة فيصير الشاعر ساعة للولوج عند دخول البحر الأرضَ من بوابات السواحل ويكون زرع الضوء عندما يلقي القمر ضوءه على المقابر ويكون الحلم عنما يرشُ الليل الشجر. ان هذا النفس الصوفية الذي تشي به هذه المقاطع توضّح الثراء التخييلي الذي يعتمده سوف عبيد في اسلوبه التصويري ولكن هذا الشغل الابداعي في بنيته التخييلية يرشحُ عن طاقة شعريّة فريدة تبلور معنى انتماء الذات الشاعرة لموضوعها وهو الارض بمكوناتها وعناصرها،فيخدم التذاوت التصويري مع الارض هذه العلاقة العاشقة للأرض المتعلّقة بها محبة واخلاصا حينا ذوبانا انفعاليا في تفاصيلها وأضوائها والوانها وحركتها وحينا تعاظما وتوافقا كيَانيا على معنى الانسجام والتفاعل والانصهار ، وتلك الجماليات في نزعتها الصوفية والرومنطقية نجد لها ظلالا في كثير من قصائد سوف عبيد ولعلها تجد النضج في مجموعاته الشعرية التي تلت اصداره البكر "الارض عطشى"